

دكتور أنيس فريحة

ولد في 21 أيلول من عام (1903-1993) في رأس المتن من جبل لبنان في أسرة مسيحية أرثوذكسية.

أديب وصحافي ومدرس وباحث فلكلوري لبناني.

دكتور في الفلسفة واللغات السامية ومحاضر جامعي.

له أبحاث في اللغة واللهجات والأمثال والملاحم والأساطير القديمة، تميز بدراساته العلمية والأكاديمية، درس اللغات السامية والحضارات القديمة في الجامعة الأمريكية في بيروت، وكلية الإعلام في الجامعة اللبنانية.

أتقن عدداً من اللغات السامية كالسريانية والعبرية القديمة أي الكنعانية والأوغاريتية المكتوبة بالحرف المسماري.

من هم السريان؟

هم الآراميون من سكان سوريا والعراق بعد ان تنصروا في القرن الثاني والثالث. وذلك انه بعد تنصرهم اصبحوا يسمون انفسهم «السريان» اي سكان سوريا، ولغتهم السريانية (= Syriac) واصبحت لفظة آرامي تعني (حتى في معاجمهم) الوثني. وهؤلاء السريان ترجموا التوراة والانجيل الى لهجة ايدسا (= الرها، وهي اورفا الحديثة) وتسمى ترجمتهم «البيسطة» او «صورة كتاب» كما يسمونها ايضاً. واصبحت لهجة ايدسا اللغة السريانية الادبية.

بين القرن الثالث ميلادي والسابع قامت حرب عقائدية في الكنائس المسيحية حول طبيعة المسيح، و «والدة الاله» مريم. هل المسيح اله ام انسان - اله؟ هل له مشيئة واحدة ام مشيئتان، هل له طبيعة واحدة ام طبيعتان؟ هل مريم ام الله؟ حول هذه القضايا، في الدرجة الاولى، وحول غيرها من العقائد الثانوية، انقسمت الكنيسة السريانية الى قسمين عرفا فيما بعد

مِنْ هَذَا مَهْزُومًا «كَقَهْنُمَا

المدرسة السريانية الإلكترونية

بالنساطرة ، اتباع نسطور اسقف القسطنطينية الذي حكم عليه مجمع افسس المسكوني (٤٣١) بالهرطقة لقوله ان في المسيح طبيعة الهية وطبيعة انسانية في اتحاد تام ، وباليعاقة ، اتباع يعقوب البرادعي (+ ٥٧٨) ويعرفون ايضاً بالمونوفيسيت اي اصحاب الطبيعة الواحدة . وهذا الانقسام الديني ، الذي تلاه انقسام سياسي^(٣) ، سبب فروقات لغوية لا يستهان بها سواء أكان ذلك في اصوات اللغة ام في تركيبها ومفرداتها مما دعا ابن العبري للقول بان النسطوري الشرقي يحتاج الى ترجمان للتفاهم مع اليعقوبي الغربي . واصبحت السريانية الشرقية تعرف بلهجة نصيين ، وتوهما بالكلدانية ، والسريانية الغربية باللهجة الرهاوية نسبة الى الرها (ايدسا واورفا الحديثة) حيث ترجمت التوراة والاناجيل الى لهجة هذه المدينة . وهذه اللهجة الرهاوية هي السريانية لغة اليعاقبة الكاثوليك (وهي لغة الفروض الدينية في القداس عند الموارنة ، الليترجية) . حدث هذا كله بعد ان صدر الامر الامبراطوري سنة ٤٨٩ باغلاق مدرسة الرها الفارسية وطرده جميع النساطرة الذين لجأوا الى نصيين حيث اسسوا لهم مدرسة من اشهر مدارس السريان .

السريان (النساطرة واليعاقبة) والهلينية :

ينحصر العمل الثقافي العظيم الذي قام به السريان ، النساطرة واليعاقبة ، في كونهم نقلة الفكر الهليني الى الشعوب السامية . كانوا الجسر الذي عبر عليه هذا الفكر ، بلغة سريانية ، الى مختلف الشعوب السامية . وذلك لسببين : لتنصرهم الذي فرض عليهم معرفة الاغريقية عن كذب ، ولشغفهم العقلي بالفكر الاغريقي الفلسفي والعلمي . فانهم كانوا اقدم الشعوب السامية التي عنيت بنقل التراث الاغريقي الى لسانهم السرياني .

(٣) كان اليعاقبة يميلون الى بيزنطة ، وكان النساطرة يعملون تحت تأثير فارس .

وليس لنا هنا ان نؤرخ لهذه الحركة ، حركة النقل والترجمة ، فقد غني بها غيرنا ، واصبحت حقيقة تاريخية لا مجال للجدل فيها . وكذلك واضح ان اول شعب سامي متحضر احتك به العرب واتصل به اتصالا فكريا وثيقا كان الشعب السرياني في العراق . ولا نغالي اطلاقا اذا قلنا انهم كانوا اساتذة العرب في حقول كثيرة . وقد قدر العرب اهمية المدارس السريانية (الشرقية منها او الغربية) حق قدرها امثال حرّان والرها ونصيبين وقنسرين والمدائن (الطيسفون الفارسية) وجُنْدَيْشَابور التي كان أكثر المعلمين فيها من السريان الذين نقلوا علوم الاغريق الى الفرس .

وما دام الحديث عن علوم اللغة وفلسفة النحو والصرف يهمننا ان نقرر ان النماذج الاولى التي احتذاها العرب كانت علوم اللغة السريانية لا الاغريقية مباشرة . واذا كان هنالك من اثر للفلسفة الاغريقية وللمنطق الاغريقي في الصرف والنحو العربيين فانه اثر جاءهم عن طريق السريان الذين يقولون هم انفسهم انهم وضعوا صرفهم ونحوهم على غرار ما فعله الاغريق . والاقرب الى الواقع والمنطق ان يكون امامهم نموذج للغة سامية تشترك مع العربية في جذورها واشتقاقها وتصريفها وتركيبها لا لغة غريبة عنها في هذه الظواهر اللغوية . ونحن نعتقد ان هذه اللغة السامية النموذج كانت السريانية لاتصال العرب الوثيق بالسريان وحضارتهم وعلومهم ، ولا سيما في العراق ومدنه الشهيرة التي كانت مراكز مسيحية هلينية . وسنأخذ بالبحث النقاط التالية لنبين للقارئ الكريم اثر السريان ولغتهم في وضع قواعد العربية وضبط احكامها :

(١) اللغة الآرامية واثرها الثقافي في العربية .

(٢) الخط السرياني واثره في الخط العربي .

(٣) ترجمة التوراة (صورة كتاب) وضبط قراءتها .

(٤) وضع قواعد اللغة السريانية على اسس اغريقية .

(١) اللغة الآرامية واثرها الثقافي في اللغة العربية :

قلنا ان اللغة السريانية لهجة من لهجات الآرامية . والآرامية لغة سامية تكلم بها اهل العراق القديم وسوريا ولبنان وفلسطين وشرقي الاردن . ونتعرف الى هذه اللغة الآرامية بواسطة ما تحدر الينا من نقوش وبرديّ ورقّ ونصوص ادبية ودينية اشهرها آرامية اسفار العهد القديم (اذ ان بعضها كتب بلغة آرامية) وآرامية الترجوم والتلمود وآرامية تدمر والانباط والسامرة . غير ان اشهر اللهجات الآرامية لهجة ايدسّا او الرها (اورفا الحديثة) . وذلك لان التوراة والاناجيل نقلت الى هذه اللهجة ، بعد تنصرها في القرن الثاني ميلادي . وانتشرت الآرامية انتشاراً واسعاً جداً ، فان ايران جعلت من الآرامية لغة رسمية ، وذلك بصفقتها وريثة مملكة اشور ، فعم استعمالها من ايران الى جزيرة الفيلة في جنوبي مصر . واصبحت كذلك لغة دولية رسمية *Lingua Franca* في جميع انحاء الشرق الادنى . وعندما عاش المسيح على الارض كانت لغته لهجة آرامية لا العبرية القديمة . وآثار الآرامية اللغوية لا تزال بين ظهرانينا الى هذا اليوم . فان في سوريا ثلاث قرى لا يزال اهلها يتكلمون لهجة آرامية : معلولا وبنجة وجبعدين^(٤) . واثر الآرامية في اللهجات المحكية في سوريا ولبنان والعراق ظاهر كل الظهور في المفردات وفي التركيب النحوي ناهيك عن اسماء المدن والقرى^(٥) . وكان للآرامية اثر لغوي في العربية الفصحى قبل ظهور الاسلام وبعده . فان كلمات كثيرة لها علاقة بالزراعة والفلاحة والحياة الدينية هي الآن في

(٤) BERGSTRAESSER: *Neuaramaische Maerchen und andre Texte von Ma'lula*, Leipzig 1915

SPITALER, ANTON: *Grammatik des neuaramaischen Dialeckts von Ma'lula*, Hamburg, 1938.

(٥) راجع كتاب المنسيور ميشال فغالي :

Syntaxe des Parlers Arabes actuels du Liban, Paris, 1928.

وراجع كتابنا : « اسماء القرى والمدن اللبنانية وتفسير معانيها » منشورات الجامعة الأميركية جونية ١٩٥٦ ، ولا سيما المقدمة التاريخية التي صدرنا بها هذا المؤلف .

مستديرة ، ولفظة «كوفة» معناها مستدير. هكذا كانوا يبنون المدن في العراق القديم ، ربما لسهولة حمايتها اذ يكون كل جزء من اطرافها قريباً الى المركز. وكانت الكوفة حتى بعد الاسلام مركزاً اسقفياً ، فاننا نعلم ان عام ٦٨٨ م سيم فيها اسقف اسمه جورجي العلامة او جورجي اسقف العرب . وكان عالماً نقل كتاب ارسطو الموسوم ب Organon الى السريانية^(٩) .

وقد فعل عبد الملك عام ٨١ هـ . ما فعله الحجاج في العراق ، اي انه جعل العربية لغة الدواوين بعد ان كانت الرومية . ثم تبعها عبد الله بن عبد الملك في مصر سنة ٨٧ هـ . فغير لغة الدواوين من القبطية الى العربية .

(٢) الخط السرياني وأثره في الخط العربي :

اقتبس العرب خطهم عن جيرانهم الآراميين^(١٠) . وقد كان للسريان (وهم آراميون) نوعان من الخط : نسخي مدور ، اي الذي يميل الى التقويس او التدوير ، ومزوّى وهو الخط الذي كانوا يستعملونه في الزخرف ويشبه الكوفي . هذا الخط المزوّى كانوا يسمونه السطرنجيلي لانهم كانوا يؤثرون كتابة كتابهم المقدس والاناجيل به . وللعب خطان نسخي وكوفي . النسخي للمعاملات اليومية ، والكوفي ، الذي يشبه السطرنجيلي ، للكتابة على الجدران والابنية ، وبه كتبت المصاحف اولا . ولا اساس للقول ان النسخي مشتق من الكوفي لانه وجدت آثار كتابية نسخية تعود الى اقدم الازمنة الاسلامية ومعاصرة للخط الكوفي في الوقت ذاته مما يدل على وجود الخطين معاً . وليس للكوفة فضل على هذا الخط سوى انهم جودوه وتعهدوه فعرف بهم .

(٩) من اراد معرفة الاساقفة الذين تولوا اديرة وابرشيات في البلاد العربية فانه يجد فيهم ثبناً في فهرست ميخائيل الكبير ، طبعة باريس .

(١٠) راجع كتاباً لنا في الموضوع عنوانه «الخط العربي نشأته مشكلته» .

(ج) ويظهر اثر الكتابة السريانية في الكتابة العربية في طريقة كتابة المقطع المفتوح الممدود (Long open syllable) فان هذا المقطع — الذي يجب ان يكتب بألف ممدودة — اذا وقع حشوا سقطت الالف وعود عنها بحركة الزقافا اي الرفع = — مثل **ممد عُدَا** قام كتاب . وهكذا تكتب كلمات مثل قام ، رحمان ، مساكين ، يتامى ، مساجد ، كتاب ، ابراهيم ، اسحاق ، اسماعيل ، بدون الف ، تماماً كما هي في رسم كتابة القرآن الكريم الى يومنا هذا (١٥) .

(د) وفي رسم كتابة القرآن الكريم تسقط احياناً الف وزن فاعل وتفاعل . كذلك في السريانية ، فانها تسقط فيكتبون برك = بارك .

(هـ) وفي السريانية تحذف الالف من ضمير المتكلم الجمع «نا» ، وكذلك هي في رسم كتابة القرآن الكريم ، فاننا نجد : ارسلنا واصطفينه وبشرنه .

(و) وكذلك تحذف في السريانية الف جمع المؤنث السالم ، واثر هذا واضح يضافاً في رسم كتابة القرآن الكريم فنجد صدقت وطيبت . وشييه بهذا (حذف لالف) في كتابة شهد وكافرين عوضاً عن شاهد وكافرين .

(ز) والسريان يحذفون ايضاً ياء المتكلم واثر هذا واضح في كتابة «يرب» عوضاً عن يا ربي .

٣) ترجمة الكتاب المقدس (صورة كتاب) وضبط قراءته :

وقد يعجب القارئ لبحثنا امر ترجمة الكتاب المقدس الى اللسان السرياني بينما نحن بصدد وضع قواعد اللغة واثر السريان فيها . ولكن يزول العجب عندما

(١٥) في السريانية يرمزون الى هذا المقطع المفتوح الممدود بحركة يسمونها «زقافا» اي الرفع . فان كلمة قام تكتب هكذا **ممد** بدون ألف .

نقول ان مبادئ وضع الصرف والنحو وتسهيل القراءة والكتابة بدأت بالكتاب المقدس وضبط احكامه اللغوية .

يصرّ السريان على انهم اول من تنصر . يزعمون ان تنصرهم وقع زمن المسيح في ايام ملكهم ابجر ملك الرها^(١٦) . وقد اعتبرت قصة ابجر قصة تاريخية اخذ بها كثيرون من المؤرخين وآباء الكنيسة مثل يوسيبوس (+ ٣٤٠) . ولكن يظهر ان هنالك خلطاً تاريخياً بين ابجر التاسع — لان الاباجرة سلالة نعرف منهم عدداً كبيراً سموها جميعاً بأبجر — الذي ملك من ١٧٩ — ٢١٤ او ٢١٦ ميلادية وابجر اخر ملك من ٤ ق . م . الى ٧ ب . م . غير اننا نعلم الآن ان القصة تعود الى ازمة متأخرة . ولكن من الثابت انه لم يكذب ينصرم القرن الثاني ميلادي حتى كانت الشعوب الآرامية في العراق وسورية قد تنصرت . وقد ترجموا الكتاب المقدس الى السريانية بلهجة ايدسّا (= الرها او اورفا الحديثة) وسموها البسيطة او « صورة كتاب » **رَهْ قَوَادِمُ**^(١٧) وقد شك بعضهم في ان تكون الترجمة البسيطة قد تمت في هذه الفترة البعيدة وذلك بناء على ملاحظة وردت في سيرة القديس ربّولا من رجال الكنيسة في القرن الخامس ميلادي ، واعتبروا ان المترجم هو ربّولا نفسه . ولكن الحقيقة ان ربّولا شرح الكتاب ولكنه لم يقم بالترجمة هو نفسه^(١٨) .

ان ما يهمنا من امر ترجمة التوراة الى السريانية هو ضبط القراءة فيها . من المعلوم ان اللغات السامية في كتابتها تعتمد الحروف الصحيحة وتترك للقارىء امر

(١٦) الفصل المعنون « الآرامية والسريانية — ما الفرق بينهما » في كتابنا « دراسات في التاريخ » : دار النهار للنشر .

(١٧) يذكر ابن النديم (طبعة المكتبة التجارية الكبرى في مصر سنة ١٣٤٨ ص ٣٥) عند كلامه عن انجيل النصارى انه سأل يونس القس عن « الكتب التي يفسرونها ويعلمون بها مما خرج الى اللسان العربي فقال من ذلك كتاب الصورة ٢٢ » يعني صورة كتاب وهي الترجمة المعروفة بالبسيطة .

(١٨) راجع ما قلناه في هذا الموضوع في مجلة الابحاث شهر آذار ١٩٥٩ (المجلد ١٢) ص ٤٣ .

تقدير الحركة مما يجعل القراءة امراً عسيراً جداً. اذ على القارىء ان يفهم اولاً ثم ان يقرأ ثانياً. واقدم نظام لضبط القراءة قام به السريان. فان مار افرام من رجال الكنيسة في القرن الثالث والرابع ميلادي يشير الى نظام النقط في تعليقه على لفظة **سعدنا** (حمير) في تكوين ٣٦ : ٢٤. وذلك لان كلمة مثل هذه الكلمة بدون تشكيل وتنقيط يمكن قراءتها على اشكال مختلفة. ولكن نظاماً ما من النقط لا بد وان يزيل الاشتباه— ومن هنا كان نظام النقط فوق الحرف المشتبه به او تحته تسهياً للقارىء. وعلينا ان نوضح نظام النقط عند السريان، وعلى وجه التحقيق عند السريان المشاركة (النساطرة)، لانهم كانوا اول من اشتغل بامور ضبط القراءة ووضع احكام الصرف والنحو.

نظام التنقيط عند النساطرة

استعملت النقطة اول ما استعملت للفرقة بين حرفين متشابهين هما حرفا الدال والراء (ڤو) فانهما كانا يكتبان بشكل واحد، فوضعوا نقطة فوق الحرف دلالة على انه راء (ڤو) ونقطة تحته دلالة على انه دال (ڤو) (١٩) ثم انهم استعملوا النقطة فوق الحرف المشتبه بحركته للدلالة على انه متحرك بحركة. فان كلمة مثل **حديا** (= عبدا) يمكن ان تقرأ على اشكال متعددة، ولكن نقطة فوق الباء **حديا** تعني ان الباء متحركة ب \bar{a} (٢٠) فيقرأ القارىء عبادا عوضاً عن عبدا. وكذلك الحال في الكلمات المتشابهة حروفاً المختلفة نطقاً ومعنى مثل:

م = من (نقطة تحت الميم)

م = من (نقطة فوق الميم)

(١٩) وطلاب السريانية يعرفون ان هذا الحرف يلفظ احياناً د اذا كان في بدء الكلام او سبقه ساكن، ويلفظ ذ اذا سبقه متحرك.

(٢٠) او \bar{o} عند المغاربة كما هو معلوم عند طلاب السريانية.

مَلِكًا = ملكا الملك (بنقطة فوق الميم)

مَلِكًا = ملكا مشورة ونصح (بنقطة تحت الميم)

مَيْدًا = شنتا سنة

مَيْدًا = شنتا = نوم (سنة)

واستعملوا النقطة ايضاً— وذلك في زمن مبكر— للفرقة بين الهمزة الساقطة لفظاً والمحققة ، فوضعوا نقطة تحت الهمزة دلالة على انها ساقطة في اللفظ ، مثاله **لا يدا** La yada'na وتقرأ (لا اعرف) ونقطة فوقها دلالة على انها محققة ، مثاله **أهم** وتلفظ appeq (اخرج) **أها** وتلفظ ahha (اخ) . واستعملوا النقطة ايضاً فوق الهاء لتحقيق لفظها مثاله **حاه** فانها تلفظ bāh . واستعملوا النقطة مع حرف الواو فكانت النقطة تحت الواو دلالة على انها **تاه** وفوقها دلالة على انها ساكنة . واخيراً استعملوا النقطة للفرقة في لفظ الفعل المجرد الثلاثي في مثل قتل (**هله** قتل) فان النقطة تحت الطاء **هله** دلالة على انها فعل ماص ولفظه **قطال** ، ونقطة فوق القاف **هله** دلالة على انها اسم الفاعل = **قاتل** .

هذا بعض اوجه استعمال النقطة . يهنا من الامر ان نقول ان نظام النقطة الذي كان في بادىء الامر لازالة الاشتباه اصبحت فيما بعد نظاماً تاماً يعم جميع حروف الكلمة . فان نقطة فوق الحرف ونقطة اخرى تحته دلالة على الفتح القصير ، ونقطتان مائلتان فوق الحرف دلالة على الفتح الممدود ، ونقطتان افقيتان تحت الحرف دلالة على حركة **ه** وهلم جرا مما يطول شرحه ويرهق ، ولا سيما عند اكثر القراء الذين لا يعرفون السريانية الشرقية . وقد نكون قد كلفنا القارئ بعض المشقة ، ولكننا نريد ان نقول ان هذا النظام السرياني المشرقي كان النظام الذي احتذاه العبران عندما ضبطوا قراءة اسفار التوراة في القرن السابع ميلادي ، وهو النظام الذي كان له اثر في التنقيط عند العرب ، ثم في وضع نظام للحركات .

ونحن نعتقد ان ابا الاسود الدؤلي الذي يعزى اليه وضع النحو بايعاز من الامام علي عني اولا بتنقيط القرآن الكريم. فان قراءة القرآن الكريم بدون لحن كان الامر الملح ، والرواية التي يذكرها ابن النديم^(٢١) تشير الى اثر السريان في وضع علامات للقراءة الصحيحة. فقد كان ابو الاسود يقول لكاتبه « اذا رأيتني قد فتحت في الحرف فانقطه نقطة فوقه على اعلاه ، وان ضمنت في فانقط نقطة بين يدي الحرف^(٢٢) ، وان كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف ». هذا النظام سرياني صرف.

وللسريان نظام آخر لضبط القراءة ويعتمد احرف الهجاء الاغريقية بصورة مصغرة. فالفتح يرمز اليه بحرف A والكسر بحرف H (ويلفظ i). يقولون ان هذا النظام من وضع ثيوفيل الرهاوي الذي عندما كان يترجم الالياذة الى السريانية اضطر الى ضبط قراءة اسماء الاعلام فاستعمل حروف الهجاء الاغريقية وشاعت بعده. ولكن من الغريب جداً ان ابن العبري الذي كتب لنا عن ثيوفيل لا يذكر شيئاً من هذا بالرغم من كونه امراً عظيماً يستحق الذكر. ويقدر المطران يوسف داود ان ادخال هذا النظام حصل في دير قرقفة في طور عبيدين ، وهو دير مشهور لليعاقة اشتغل الرهبان فيه بضبط قراءة الكتاب المقدس واكثروا فيه من النقل والترجمة من اللسان الاغريقي الى السرياني.

٤) وضع قواعد اللغة السريانية على اساس اغريقية :

ينحصر عمل السريان الثقافي في امرين جوهريين : اولا نقل التراث الهليني الى الشعوب السامية ، وبصورة خاصة للعرب ، ثانياً في اصلاح الخط السامي الذي يشكو من فقر فاضح في الحركات والضوابط مما كان يجعل القراءة وقفاً

(٢١) ابن النديم ، الفهرست ص ٦٠ .

(٢٢) وفي هذا اشارة الى حركة الحولم (O) عند العبران ويرمز اليها بنقطة « بين يدي الحرف » .

على فئة قليلة من الناس ، ووضع قواعد الصرف والنحو للغتهم تلك القواعد التي أصبحت فيما بعد مثلاً يحتذى . أما عملهم الثقافي الاول ، نقل الفكر الاغريقي الى اللسان السامي ، فأمر معروف عند طلاب التاريخ ولا ضرورة لذكره في هذا المجال . أما عملهم الثاني ، معاناة الخط واصلاجه ووضع قواعد اللغة ، فيحتاج الى شيء من الاسهاب .

اشرنا آنفاً الى ترجمة التوراة والاناجيل الى لغتهم السريانية في عصر مبكر . وقلنا ان مشكلة خطهم هي مشكلة كل خط سامي : خط يفتقر الى حركات والى ضوابط من شأنها ان تسهل عملية القراءة . فكان نظام التنقيط الذي اشرنا اليه . وقد حدث هذا في عصر مبكر ايضاً حتى ان ابن العبري (+ ١٢٨٦) يقول انه لا يعرف شيئاً عن تاريخ وضعها ، ويضيف ان اسلافه ايضاً لم يكونوا يعرفون عن اصلها شيئاً يقيناً ، ولكي يخفوا جهلهم عزوها الى كونها اشارات ورموزاً من عمل الروح القدس .

بدأ الاشتغال بعلوم اللغة عند المشاركة ، لا سيما بعد ان وصلت اللغة ذروتها من حيث الازدهار والانتشار ، في القرون الثلاثة الرابع والخامس والسادس ميلادي^(٢٣) . وقد ابقى لنا التاريخ اسما لغويين عديدين ألفوا في القواعد ، ولكن لم يصلنا من مؤلفاتهم شيء يذكر . غير ان المتأخرين اعتمدوا كتاباتهم ، ونحن نتعرف اليهم بواسطة المتأخرين . منهم يوسف الالهوازي المعروف بالحزاي او الحازي^(٢٤) (= الرائي) المتوفي عام ٥٨٠ . وقد كان رئيس مدرسة نصيبين الشهيرة . وقد وضع كتاب صرف ونحو على النظام الاغريقي . ويعزى اليه تجويد نظام التنقيط الذي تكلمنا عنه ووضع قواعد ثابتة له . ومن القدامى سويروس

(٢٣) نستطيع القول بان معركة القادسية (٦٣٦ - ٦٣٧) التي هيأت الفتح العربي في العراق كانت نهاية عهد هذا الازدهار . بقيت السريانية حية الى قرون تالية ولكن اخذت العربية تحل محلها .

(٢٤) من جذر يرد في السريانية والعبرية : « ح زي » ومعناها رأى . والحازي الذي يرى في الغيب ويتكهن .

سيبخت (+ ٦٦٦) اسقف نصيبين وكان عالماً يتقن الاغريقية مطلعاً على علومها وفلسفتها ، وعني بنقل كتب في الفلك والفلسفة والمنطق . وعني بالصرف والنحو السريانيين . وهذا الاسقف معروف بانه كان يشجع التعاون الثقافي بين المسلمين والسريان فانه اجاز لكهنته ان يعلموا المسلمين .

غير ان اللغوي الذي وضع قواعد اللغة السريانية بشكلها النهائي ، ذلك الشكل الذي احتذاه الذين اتوا بعده باجيال ، امثال ابن العبري ، فهو يعقوب الرهاوي (٦٣٣ - ٧٠٨) . تتلمذ يعقوب على يدي سيبخت في قنشرين . وقد وضع الحركات ، وعددها سبع ، واوجد رموزاً للنبرة تفوق الثلاثين عدداً . ويلاحظ القارىء ان يعقوب الرهاوي كان معاصراً لابي الاسود الدؤلي (+ ٦٨٨ أو ٦٨٩) الذي كان يعنى ، كما قلنا آنفاً ، بتنقيط القرآن . ونذكر ايضاً شيخ المترجمين ، حنين ابن اسحق (+ ٨٧٦) فانه عندما عاد من الاسكندرية لازم الخليل ابن احمد حتى اتقن العربية اتقاناً حسناً . ويحسن بنا ان نذكر ان الخليل كان استاذ سيبويه ، اول من كتب كتاباً في القواعد العربية تام الصنع . وكان حنين بليغاً في السريانية وعلومها . ولا شك في انه عندما كان يتعلم العربية كان يسأل الخليل عن القواعد ، لان الذي يتعلم لغة جديدة يريد ان يتعلمها على قاعدة . ونتخيل ان الرجلين كانا يخوضان مباحث لغوية فيها كثير من المقابلات بين السريانية والعربية .

نريد ان نقول ان العرب عندما اخذوا بوضع القواعد يجب ان يكونوا قد احتذوا حذو السريان لا الاغريق . لان السريان كانوا الصق الناس بهم واقربهم اليهم لسانا . ونعتقد ان اثاره القضايا الفكرية جاءت نتيجة احتكاكهم بالسريان . فاذا سلمنا ان الصلات الفكرية بين المسلمين والسريان كانت لصيقة وثيقة ، واذا سلمنا بان المشافهة بين السريان والمسلمين تناولت مختلف قضايا الفكر ، افلا يحق لنا ان نقدر ان مبادئ الصرف والنحو عند العرب وضعت

على اسس الصرف والنحو عند السريان؟ نحن نقدر هذا ، ولنا دليل آخر على ذلك نستنتجه من دراسة المصطلح الصرفي والنحوي عند العرب . ان الواحد منا ليسأل كيف تسنى للعرب مصطلح لعلم اللغة تام الوضع؟ كيف تسنى لسيبويه — وكتابه «الكتاب» اقدم كتاب تام الصنعة في علم اللغة — ان يضع هذه المصطلحات: المبتدأ والخبر والاعلال والادغام والرفع والنصب والخفض والجزم والمصدر والضمير والمضارع... الخ؟ ان مصطلح كل فن من الفنون ، ومصطلح كل علم من العلوم لا يظهر فجأة وطفرة واحدة . من المعقول ان يتأثر مصطلح كل علم وفن بالمصدر الذي استقى منه . ففي حقل الزراعة والدين نجد الفاظاً آرامية ذلك لان العرب ، جيران الشعوب الآرامية ، تأثروا بالفلاحة النبطية وبالآراء الدينية المسيحية .

. ونحب ان ننبه القارئ الى ان جذور اللغات السامية تكاد تكون مشتركة . فانا اذا وجدنا ان فعل أكل يرد في السريانية والعبرية والفينيقية فلا يحق لنا ان نقفز حالاً الى الاستنتاج بان لهجة ما اخذت عن الثانية . الاصل واحد في هذه اللغات . ولكن الامر الذي يهمننا هنا هو ان هذه المصطلحات الصرفية والنحوية وجدت اولاً في السريانية ومن ثم اخذها العرب عن السريان وترجموها الى لغتهم ، واذا لم يكونوا قد ترجموا اللفظة السريانية ذاتها فان المصطلح السرياني يجب ان يكون قد اوحى اليهم اللفظة العربية . وقد اخترنا جملة صالحة من المصطلحات العربية التي نستشعر ان وضعها كان بتأثير السريانية كما سيبدو لك وقد رتبناها على الابجدية :

ادغام: في السريانية **ܘܠܠܐ** 'ullāla (٢٥) من جذر **ܘܠܠ** 'all

(٢٥) نحن نفضل اللفظ المشرقي على اللفظ الغربي . المشاركة يلفظون الزقاف بينما المغاربة يلفظونه ܘܠܠܐ والمغاربة لا يشددون الجرف ، بينما يشدده المشاركة . وهم على صواب كما شهد بذلك أئمة علماء الموارنة .

ومعناه دخول ، يقصدون ادخال حرف بحرف . وقد ترجمها
العرب بلفظة ادغام تحاشياً للفظه ادخال .

اسم آلة : **مُحَدَا** **بِأَفِئْتِهٖ** shema dharganūtha من

organon لفظة يونانية تعني الآلة .

اسم الإشارة : **مُحَدَا** **وَمُحَدَا** الاسماء التي ترمز الى الشيء من

مُحَدَا رمز

اسم الفاعل : **مُحَدَا** **وَحَدَا** shema dhe'avda اسم الفاعل

ويسمونه ايضاً **حَدَهٗ** 'āvūdhā الفاعل والصانع .
وَحَدَّ 'āvedh الفاعل من «عبد» صنع وفعل ويطلقونها
على المعلوم اي الذي فاعله معروف .

اسم المرة : **مُحَدَا** **وَأَحَدَا** shema d -azbanta اسم المرة

الواحدة .

اسم المفعول : **سُحَدَا** hashūsha ومعناها المنفعل اي الذي يقع عليه

الفعل من **سُح** hashsh احس وانفعل . ويقولون

ايضاً **مُحَدَا** **سُحَدَا** **تُحَدَا** **تُحَدَا** shemāhe

hāshushay tupse أي الأسماء التي من النوع الذي

ينفعل . ويسمى ايضاً **مُحَدَا** **وَحَدَا** shema

dh—a'bīdha ومعناه الاسم المفعول .

اسم المكان والزمان : **مُحَدَا** **وَأَحَدَا** **وَأَوَا** shema dhe zavna we

dha-thra وترجمته اسم الزمن والمكان ، تماماً كما هو

في العربية .

اسم النوع : **مُحَدَا** **وَأَوَا** shema dha—zna اسم النوع .

الإشارة : **مُحَدَا** **وَأَوَا** remzanāya الرمز والإشارة .

الإضافة :

مُدَّةهُمُ ۱۱۱ mallūthūtha من جذر حُدَا

أضاف وألصق والحق . اما اضافة الاسم الى ضمير كما في «كتابي» واطافة الفعل الى ضمير فاعله كما في «أكلوا» او الى ضمير النصب (المفعول به) كما في رآه فانهم يسمون هذه الظاهرة مُصَفِّهُمُ ۱۱۱ naqqifūtha من جذر نَقَفَ neqaf أضاف والحق واتبع . والضمير سواء أكان للفاعلية ام للمفعولية يسمونه نَقَفُوا ۱۱۱ nūqqāfa وهو اللاحقة او suffix .

الامر :

فُقِّدُوا ۱۱۱ pāqūdha من جذر قَدِمَ peqad امر .

البدل :

سُدُّوا ۱۱۱ hullāfā البدل من جذر مَدَّ أبدل

وقايض وأعاض .

التركيب المزجي : أُهْدِمْنَا مَدَّةً حَا eskima merakbe اما الجزء

الاول فلفظة اغريقية : shema ومعناها هيئة شكل نموذج مخطط ، فيكون معنى المصطلح : «شكل مركب» فترجمه العرب الى تركيب مزجي .

تصريف الفعل مع الضمائر : هُدُّوا ۱۱۱ sur'afa ومعناها

فرع وغصن وتصريف ، وهي فرعل من هَدَّه يقابلها في العربية شغف او سعف او شعب وهذه الافعال تنتمي جميعها الى عائلة واحدة يفيد جذرها الاصيل فكرة الشعب والتفرع فترجمه العرب الى تصريف اي تغيير الشكل .

التصغير :

أُهْرُوا ۱۱۱ zu''āra من جذر أَرَحَ ze'ar صغر وقل

ويقابلها في العربية العامية «زغر» .

التفضيل : **يَاتِرُوثَا** Yattirūtha ومعناها الحسن والكمال والفضل ،
من **يَاتِر** Yattir بمعنى كثير وفاضل وحسن .

التوكيد : **شُرَّرَا** shurrāra ومعناها التوكيد من جذر **شَرَر**
sharrar أكد وثبت .

الجزم : **جِدْهَامَا** gedhāma الاقتطاع والجزم والاجتثاث ، من

جذر **جِدْهَامَا** gedhama قطع وجزم . والجزم في السريانية

اقتطاع الف التعريف من آخر الاسم اذا اضيف فيقولون

كِيثَا kethava الكتاب واما في الاضافة «فتجزم»

الالف من آخره ويقال **كِيثَا** ketāv

الجمع : **سَجِيَانَايَا** saggiyanāya من جذر **سَجَا** sega او

سَجِي segi زاد وكثر .

الحال : **أَيْكَانَايُوثَا** aykannayūtha او الحال والهيئة والصورة .

الحركات : ويسمونها **أَيْتْلَا** 'zaw'او **نَقَشَا** neqashātha

hammesh النقط الخمس من جذر **أَيْتْلَا** (زاغ) بمعنى

تحرك **وَقَشَا** neqash دقّ وغرز وقرع ونكت . وسموها

حركة لانها كانت تغير الصامت او الساكن الى متحرك .

الحروف : وهي نوعان : حروف الهجاء وسموها **هَيْتْلَا**

الاصطقسيات وهي كلمة يونانية stoixeion ومعناها عنصر

وجوهر اي العناصر الاولية التي تتألف منها الكلمات

(فونيمات) وحروف المعاني مثل لم ، بل ، في ، وسموها

أَيْسَارَا esšāré وهي الروابط اي الادوات التي تري

العلاقة (تربط) بين كلمة واخرى ، من جذر

أَيْسَارَا esar أسروقيّد وربط . والسريان اتبعوا اليونان في

تقسيم الكلمة الى اسم وفعل واداة تري العلاقة بين الذوات والافعال .

الخبر: **تَبَّحًا** tebba ومعناها خبر وهو ما يقال عن المبتدأ . وفي هذين المصطلحين ، المبتدأ والخبر ، يظهر اثر السريان في وضع المصطلحات الصرفية والنحوية العربية ظهوراً واضحاً .

الخفض: وهو من القاب الاعراب ، بينما الكسرة من القاب البناء . ونعتقد ان هذا المصطلح «الخفض» هو ترجمة **رُفْرًا** revāsa وهو ايضاً اسم الحركة ، ومعناه الضغط والشد .

الرفع: وهو ايضاً من القاب الاعراب وهو ترجمة **زُقَفَاة** zeqafa وهو اسم الحركة ā وعند المغاربة او اليعاقبة ā ، من جذر **رَفَع** رفع . وقد ورد في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري بيتان من الشعر وردت فيهما لفظة «زقفونه» في معرض كلامه عن جارية كانت تحاول حمله :

سكتِ ان اعيالك امري : فاحمليني زقفونه

والثاني :

صلحت حالتي الى الخلف حتي : صرت امشي الى الوري
زقفونه (٢٦)

الصحيح: من الفعل يسمى **هَلِيمًا** helima أي بريء متعاف غير مريض . وقد سموا الفعل الذي فيه حرف ضعيف عرضة للاسقاط او التغيير **كِرِيهَا** kerīha اي مريض فنقلها العرب الى صحيح ومعتل .

(٢٦) رسالة الغفران ص ١٦١ ، تحقيق بنت الشاطيء ، دار المعارف بمصر ، القاهرة .

الصفة : **شُمُّه** shummāha الصفة، من **شُمُّه** shammah اي وصف ولقب وشهر.

الضمير : وكانوا يسمونه في القديم **سُكُه** **مُحَا** helaf shema اي بدل من الاسم، وهو ترجمة حرفية للكلمة اليونانية pronōmina اي بدل من الاسم. وفي اعصر تالية صاروا يسمونه **سُومُحُمَا** hushshavāya اي المضمر المقدّر، المفهوم ضمناً.

الضمير الغائب والمخاطب والمتكلم : سماه السريان تماماً كما سماه الاغريق **فَنِي هُكَا** parsūpa وهي لفظة اغريقية = person 'prosopon ، والغائب رمزوا اليه كما يرمز الغربيون وذلك بقولهم **لَاكُمَا** Telithāya = الثالث والمخاطب **لَاوُمَا** terayyāna الثاني، والمتكلم **هَبُجُمَا** qadhmayā = الاول.

وكل ذلك يدل على مبلغ أخذهم عن الاغريق.

العدد : **مَنِيْنَا** menyāna من جذر **مَنَا** mena عدّ واحصى.

الظرف : **نَمَقُثَا** naqpayāthal من جذر **نَمَقُ** neqef اتصل والتصق ويعنون بلفظة **naqpayātha** اما لاحقة متصلة بالفعل او «تابع» والظرف تابع، ومنها في العربية التوابع اي المتصلة او المتعلقة بجزء آخر من أجزاء الجملة.

العطف : **حُتُفَا** etūfyā كالعربية من جذر **حُتُفُ** ataf عطف.

الغراماطيق : وهي لفظة اغريقية عربها العرب عن طريق السريان، فانهم سموا علم اللغة **مُطُكُمُفَا** grammatiqi من **gramma** حرف.

- الفتح : **فُتِحَا** = petāha = الفتح تماماً كما هي في العربية .
- الفعل : **فُكِّلَا** = melletha = كلمة (ملة) وسموا الفعل «كلمة» تقليداً للاغريق لان افلاطون عدّ الفعل المضارع كلمة لانها تدل على «وجود» (وتذكر ان تقسيم الكلمة الى اسم وفعل وحرف اغريقي) بعكس الماضي والامر فانها ليسا بكلمة لان الأول يدل على الماضي فليس هو «بموجود» والامر يدل على شيء لم يحدث بعد فهو ليس بكلمة .
- الفعل الحالي : **أَحْبَا وَفَا** zavna dhe qā'em الزمن القائم .
- الفعل اللازم : **فُكِّلَا وَدَّعَلَا** melletha dhabbiqātha
 الفعل الذي «يلتصق» («يدبّق») الفعل بفاعلة فلا يخرج ،
 اي لا يتعدى الى آخر . سماه العرب لازم فكأنهم ترجموا
 كلمة **وَدَّعَلَا** dabbiqa ومعناها الملاصقة والملازمة ، الى
 لفظة «لازم» .
- الفعل المتعدي : **فُكِّلَا مَشَانِيَا** meshannāna ومعناها التعدي ،
 من جذر **شَانِيَا** shena تعدي وتجاوز .
- الفعل الماضي : **أَحْبَا وَحَدَّ** zavna dha'bar الزمن الذي عبر .
- الفعل المستقبل : **أَحْبَا وَحَدَّ** zavna dha'tidh الزمن العتيد اي
 المستقبل .
- الفعل المضاعف : **فُكِّلَا حَقْفَا** melletha 'efifta
 المضاعف من جذر **حَقْفَا** ضاعف وثني .
- الكسرة : **مُحْرَا** hevasa وهي اسم الحركة = = i ، من جذر
مُحْرَا «حبص» بمعنى زحم وضغط .
- الابتداء : **مُهْرَا** shurrāya الابتداء من جذر **هْرَا** shera

بدأ، واظن ان المصطلح العربي «المبتدا» ترجمة حرفية للمصطلح السرياني.

المذكر والمؤنث : **دَحْرَانَا** dekhranāya, neqbethanāya
المذكر والمؤنث.

المصدر : **زنا ولا صلا صلا** zena dhela methahma ومعناه النوع او الشكل غير المحدد وهي ترجمة حرفية لكلمة infinitive الاغريقية الاصل، وهذا دليل على ان السريان وضعوا مصطلحهم ايضا على نمط الاغريق. ويسمونه ايضا **نصها** nevha اي الذي يشتق منه، الاصل.

المضارع : ويسمونه **دو صما** dedhamya اي المشابه من فعل **صحا** اشبه وشاكل. وقد سماه السريان بالمشابه لأنه يشبه اسم الفاعل، وكثيراً ما يستعملون اسم الفاعل عوضاً عن المضارع كما في لغتنا العامية فنقول «رايح، نايم، ماشي» عوضاً عن اروح وانام وامشي.

النسبة : **صلا صلا** baytayūtha نسبة الى البيت والمسكن والمقام.

النفي والنهي : **صلا صلا** Kelyanayātha المنع والنهي من جذر **صلا** kela منع وصد.

النكرة والمعرفة : **لا صلا** la idhi'a اي غير معروف، **صلا** idhi'a معروف من جذر **صلا** idha'a عرف.

لوزن : **صلا** kayla اي الكيل. وسموه ايضا باسم اغريقي **صلا** Tupsa وهي كلمة اغريقية معناها الشكل والنموذج = Type

